الفصل الأول

البرامج التربوية الموجهة لأطفال ما قبل المدرسة

تمهيد

يعتبر التخطيط الدقيق والمبتكر للبرامج الموجهة لأطفال ما قبل المدر
ضرورة قومية ملحة في العصر الحاضر، الذي تفجرت فيه المعرفة وتدفقت لتغ
عالم الأطفال ولتثري بيئتهم، وأصبح لزاما علي المسئولين عن الإعداد والتخطي
والتصميم والتوجيه والإشراف علي الطفل أن يمدوا البرامج التي تزوده بالمفاه
والخبرات، والتي تكسبه الاتجاهات والميول والعادات ،والتي تمكنه من الحياة
مجتمع اليوم وتساعده علي فهم البيئة التي يعيش فيها مع متطلباتها وامكانيات
الحديثة.

ولقد أكدت الاتجاهات المعاصرة في تربية أطفال ما قبل المدرسة علي أهمي
تعريض الطفل للمثيرات الحسية المختلفة وإكسابه المفاهيم المناسبة بما يساعده عل
اللحاق بهذا الركب الهائل من التطور التكنولوجي العلمي المعاصر حتى لا نضيع علي
الوقت، وحتى لا نهدر الكثير من طاقاته وقدراته العقلية، وحتى لا نفقده العديد من
الخبرات قبل أن يصبح في عمر الالتحاق بالمدرسة.

والواقع أن العديد من الدراسات والأبحاث قد أكدت علي أهمية السنوات الأولي
من حياة الطفل، واعتبرتها السنوات التكوينية (Abravanel, 1998) التي توضع فيها
البذور الأولي لعوامل الشخصية الإنسانية السوية المتكاملة النمو جسميا، وعقليا،
واجتماعيا، ونفسيا.

ولقد أكد الكثير من علماء تربية الطفل الأوائل من أمثال فروبل، وبستالوتزي، ومنتسوري، وديكرولي، وروسو وغيرهم. علي أن النمو الإنساني في مراحله الأولي ما هو إلا عملية تفجير واكتشاف لطاقات وقدرات ومواهب الطفل (Acredolo, 2001).

كما أكد العديد من الباحثين في مجالات الطفولة المتعددة علي أهمية إعداد وتهيئة البيئة المناسبة لنمو الطفل وأثرها في استثارة ميوله وتحريك دوافع حب الاستطلاع والاستكشاف لديه، وحثه علي المثابرة والوصول به إلى أعلى وأجود مستويات التعلم، ولقد كان لإغناء وإثراء البيئة بالمثيرات المتنوعة تأثيراً كبيراً علي الأطفال الذين يعيشون في بيئات محرومة ثقافياً.

والمعروف أن صغار الأطفال تواقون إلي المعرفة. شغوفون للحصول علي المعلومات بما يتميزون به من دوافع لحب الاستطلاع، ورغبة في الاستكشاف، وقدرة علي توجيه الاستفسارات والتساؤلات المستمرة، والتي يجب أن تكون الإجابة عليها واضحة ومحددة وصحيحة وتتناسب مع مستوي فهم الطفل وإدراكه حتى يتمكن من الاستفادة مما ورد فيها، وحتى يدرك ما فيها من خبرات ومعلومات.

والواقع أن المشاهد أو الملاحظ لمجموعة من الأطفال خلال مراحل وخطوات تعلمهم لخبرة جديدة يجد نفسه مستمتعاً بما يثيرونه من تساؤلات، وما يقومون به من تصرفات وحركات، وما يفعلونه من أعمال وممارسات، مما يجعله يشعر بالسعادة والغبطة ويثري من خبراته ومعلوماته عنهم لو كان من المتخصصين في مجالات الطفولة المختلفة.

ويتصف صغار الأطفال بحب الاستطلاع وبالرغبة في الاستكشاف والتعلم، حيث نري الغالبية العظمي منهم ترغب عادة في لمس الأشياء التي تقع تحت أيديهم، وشمها وتذوق طعمها وتفحص طبيعتها والاستماع إلي ما يمكن أن تحدثه من أصوات وممارسة جميع أنواع التعامل معها بشدها، وجذبها، وطيها ورميها علي الأرض، ودحرجتها، وحلها، وتركيبها وغسلها وعصرها... وإجراء جميع أنواع الممارسات

الممكنة عليها، والواقع أن تمكين الطفل من ممارسة مثل هذه الأساليب علي الأشياء يمكنه من اكتشاف بيئته والتعرف علي مكوناتها ويساعده علي اكتشاف ذاته ويجعل يشعر بالثقة في الذات والاعتماد علي النفس.

وبذلك يكون دور الكبار المحيطين بالطفل هو تمكينه من التجريب والاكتشاف وتشجيعه علي اختبار مكونات بيئته الخاصة تحت إشرافهم المباشر، ولضمان سلامته ولعدم تعريضه للمخاطر. مع التحلي بالصبر والتحمل ومحاولة الإنصات والاستماع إلي تساؤلات الطفل والإجابة عن استفساراته حتى لا نعرضه للاحباطات ونجعله ينسحب من المواقف المختلفة بمجرد التعرض لها.

وفيما يلي أضرب لك عزيزي القارئ هذا المثال الذي يعبر عن ميل الطفل في هذا العمر إلي التعلم ورغبته إلي المعرفة، وحبه في الاستكشافات.

لقد وجهت إلي أبنتي الصغيرة " أمل" والتي كانت تبلغ من العمر ثلاث سنوات سؤالا صعباً محيراً، فاجأتني به وأنا أقف إلي جوارها خلف نافذة منزلنا حيث كنا نتطلع سوياً إلي منظر الأمطار المنهمرة بشدة والمتدفقة من السماء في سيل جارف رهيب، حيث قالت لي" لماذا تمطر السماء؟؟؟!!!".

وأجبتها علي الفور، انظري إلي الحديقة المحيطة بالمنزل والتي نراها الآن عبر هذه النافذة.. انظري (يا أمل) كيف تشرب من هذا الماء، لقد كانت ظمآنة إلي الماء متعطشة إلي قطرة منه!! إن السماء تمطر لتسقي الحدائق بالماء الذي تتعطش إليه، فتكبر الحشائش ويخضر لونها وينمو الزرع ويترعرع، وتظهر الورود في أجمل صورة لها، ويصبح منظر الحديقة جميل. كما ترينه الآن.

واعتقدت أن هذه الإجابة كافية، ولكن حب أمل في الاكتشاف ورغبتها في الاستطلاع دفعتها لأن توجه إلي سؤالا أكثر صعوبة تستفسر به عن بعض الغموض الذي لمسته في إجابتي لها.

(تقولين أن الحديقة تشرب الماء) نعم!! كيف تشرب الحديقة الماء وليس لها فم تشرب منه؟!!!

الواقع أنني سعدت بسؤالها، وشعرت في الوقت نفسه أنني قد أسأت في التعبير اللفظي عما أود تفسيره لطفلة عمرها لا يتجاوز ثلاثة أعوام.ولكوني متخصصة في النمو النفسي للأطفال شعرت علي الفور أن أبنتي تملك القدر الكبير من المهارات العقلية التي ظهرت في أسلوب تفكيرها وفي تفسيرها للمفاهيم التي تسمعها.

ولقد انتهزت هذه الفرصة التي يعبر عنها المتخصصون (باللحظة المناسبة للتعلم) Teachable Moment وقمت بتزويدها بالعديد من الخبرات والمعلومات عن الإنسان، والحيوان، والنبات... وعن وظيفة ودور الماء في المحافظة علي حياة كل منهم، وتحدثت إليها بأسلوب سهل مشوق جعلها تجلس إلي جواري، مركزة انتباهها علي، وكلما توقفت عن الحديث تقول لي: وماذا أيضاً؟ أريد أن أعرف المزيد.... مما جعلني أستمتع أكثر بالحديث إليها، وأستعين ببعض الصور المتوفرة بالمنزل والتي توضح حديثي وتستكمل جوانبه وتشوقها اكثر إلي حب المعرفة.

وهذا مثال بسيط يعبر عن دقة ملاحظة الطفل منذ السنوات الأولي من عمره، ويوضح القدرة علي التفكير وإدراك العلاقات المختلفة، والاستنتاج الجيد.. كما يكشف عن الدور الذي يجب أن يقوم به الكبار المحيطون بالطفل ويوضح مسئوليتهم في تزويد الأطفال بالخبرات والمعلومات المناسبة في الوقت المناسب وتبعا لرغبة الطفل نفسه. فالأطفال كما قال عالم النفس المعروف برونر (Bruner, 1975) قادرون على التعلم إذا استخدم معهم الأسلوب المناسب لمستواهم العقلي.

ويرى الكثير من المتخصصين في مجالات الطفولة أن الطفل يكون في العادة مستعدا لدخول (الروضة) عندما يبلغ العام الثالث من عمره مع مراعاة ظاهرة الفروق الفردية الموجودة بين كل طفل والآخر، وحيث يكون البعض منهم مستعدا للتدريب علي الخبرات والمفاهيم المختلفة التي تقدمها (الروضة) في عمر مبكر عن ذلك .. ولذا يجب علي آباء الأطفال والمشرفين على تربيتهم وتوجيههم أن يضعوا في اعتبارهم عوامل أخري إلي جانب العمر الزمني للطفل، ومن أهمها مستوي النمو

الجسمي والحركي والعقلي والاجتماعي والنفسي للطفل بما يساعدهم في تحد
مستوي مهارته، وقدراته وبما يمكنهم من محاولة تعويض أوجه القصور والنقص
يكون قد عاني منها، وحتى نساعد الطفل علي النمو الشامل المتكامل وحتى لا يؤ
الطفل بمشاكل أو صعوبات نمائية في مستقبل حياته. ويمكن للمشرفين علي الأط
والموجهين لنموهم أن يتحققوا من نمو الطفل من خلال محاولاتهم الإجابة
التساؤلات التالية ..... هل يتماشى النمو الجسمي للطفل مع النمو الحر
للأطفال في مثل عمره؟ وإذا كان نموه أقل من مستوي نمو من هم في هذا العمر
القصور في النمو كبير؟ أم أنه بسيط؟!! وهل يستطيع الطفل التفاعل السليم
الأطفال الآخرين لفظياً وحركياً!! .. وكيف يستجيب الطفل للكبار المحيطين به
البيئة؟ وما طبيعة علاقة الطفل بوالديه؟!! وهل يشعر الطفل بالارتياح والأمان؟ أو
يبادر الطفل بالتدخل في المواقف المختلفة، أم أنه ينسحب منها، أو يكتفي بالاستج
إذا ما طلب منه ذلك؟!!.... وهل يتردد الطفل في استجابته أم ينطلق واثقاً من
معبراً عما يود التعبير عنه؟!!

الواقع أن إجابة الكبار المحيطين بالطفل والمشرفين على تربيته وتوجيهه
مثل هذه التساؤلات وغيرها تمكنهم من الكشف عن جوانب القوة أو الضعف في
الطفل، وتوضح لهم نواقص نموه ومجالات قصوره، ليعملوا على تعويضها وإشباع
يعانيه من نقص، عن طريق اختيار الألعاب التربوية أو الأنشطة الحركية أو الف
المناسبة، والتي تزوده بالخبرات وتكسبه الاتجاهات السوية، وتنمى من ميوله، وتف
من طاقاته وقدراته العقلية، بحيث يقدمونها إليه على شكل موقف متكامل يمثل و
غذائية نمائية متكاملة، وتبعاً للجرعة التي يحتاج إليها كل طفل. وسنحاول في
الفصل من الكتاب توضيح الأساليب التربوية المناسبة لتحقيق تكامل نمو الط
جسمياً وعقلياً وحركياً واجتماعياً ونفسياً، من خلال تعريف القارئ بمفهوم البرنا
التربوي النفسي الموجه لطفل ما قبل المدرسة، وتوجيهه في كيفية اختيار أو إع
البرنامج المناسب لمستوى الطفل.

أولاً: المقصود بمفهوم "برنامج تربوي"

1- البرنامج بالمعنى الضيق أو المحدود

يفسر البعض مفهوم "برنامج" تفسيراً ضيقاً محدوداً، وذلك من خلال الإجابة عن سؤال واحد هو: ما الذي يحدث بغرفة الفصل أو القاعة التي يتجمع فيها الأطفال خلال فترة محددة وفي أثناء تفاعلهم مع المشرفة.

والواقع أن هؤلاء يقصرون مفهوم البرنامج بذلك على التكنيك أو الطريقة أو الأسلوب الذي تتبعه المشرفة/ المعلمة في إشباع حاجات الأطفال وتقديم المعلومات والخبرات المناسبة لهم وصولاً إلى تحقيق الأهداف المنشودة خلال فترة التفاعل المحددة.

ويشترط أصحاب هذا الرأي توازن الأسلوب أو التكنيك الذي تتبعه المشرفة/المعلمة مع احتياجات الطفل المتجددة وخصائص ومواصفات نموه الخاصة.

ويقصد بمفهوم "برنامج" تبعاً لهذا الرأي مجموع الأنشطة والألعاب والممارسات العملية التي يقوم بها الطفل تحت إشراف وتوجيه من جانب المشرفة التي تعمل على تزويده بالخبرات والمعلومات والمفاهيم والاتجاهات التي من شأنها تدريبه على أساليب التفكير السليم وحل المشكلات والتي ترغبه في البحث والاستكشاف.

ويتحقق هذا البرنامج عادة من خلال التكنيك المحدد من جانب المشرفة/المعلمة، والذي تترجمه إلى برنامج تربوي متكامل مصمم لفترة زمنية محدودة، ومصاغ له أهداف سلوكية محددة تسعى المشرفة مع الطفل نحو تحقيقها خلال المدة المحددة لذلك، ومن خلال إتباع أسلوب سهل مشوق يتناسب ومستوى الطفل الموجه له، ويتدرج به من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب ومن العام إلى الخاص، ومن الكل ألي الجزء بمصاحبة واستخدام تكنولوجيا التعليم المناسبة للموقف التربوي والتي تساعد في توضيح وتبسيط أبعاده وجوانبه، وترغب كل طفل في أنشطته وتمكنه من البحث والمتابعة، وتوسع من مدى انتباهه، وتكسبه

الخبرات والمهارات المتدفقة من الموقف التربوي الفنى بالمثيرات والمنبثق عن التكنيك
الذي تمارسه المشرفة/المعلمة مع الطفل خلال الفترة المحددة له والتي تعتبر جزءاً
يتجزأ من برنامج العمل اليومي لدار الحضانة أو الروضة.

وعادة لا يكتب النجاح لهذا البرنامج التربوي إلا إذا كان مصاحباً بأسلوب
محدد من التغذية الراجعة Feed back المستمرة التي تجعل الطفل التاجح يستمر في
العمل واللعب بأنشطة البرنامج، وتوجه الطفل غير الموفق إلي الأنشطة والممارسات
السابقة لإعادة التدريب عليها، حيث يتم ذلك من خلال عمليات التقويم المستمر
التي تقوم بها المشرفة مع الطفل من خلال (**تطبيقات وتدريبات للأنشطة**) والتي من
خلالها تستطيع تحديد مستوي الطفل من النشاط الذي يمارسه وتتأكد من استفادته
من الأنشطة والممارسات والمواقف التي تفاعل معها من خلال الممارسة العملية أو
التعرض والرؤية الطبيعية الواقعية للأشياء المختلفة.

بمثل هذه الصور المتكاملة المتطورة يظهر للقارئ المقصود **بالمفهوم الضيق**
للبرنامج التربوي والذي يقتصر علي التكنيك الدقيق المحدد الذي تتبعه المشرفة في
تهيئة وإعداد وإغناء الموقف التربوي بقاعة الفصل لمدة زمنية محددة، ووفقاً لتخطيط
وتصميم هادف محدد يظهر فيه التكامل المنشود ويعود علي الطفل بالنمو المرغوب
فيه.

2- البرنامج اليومي

قد يتسع مفهوم البرنامج التربوي ليشمل جميع الأنشطة والممارسات والألعاب
والمواقف والأساليب التي يمارسها الطفل والمشرفة خلال يوم كامل من أيام الأسبوع
حيث تقنن هذه الأنشطة والممارسات والألعاب والمواقف والأساليب والطرائق، وتحدد
تحديداً دقيقاً، وترتب ترتيباً مناسباً لمستوي نمو الطفل الذي وضعت من أجله
وتبرمج في فترات موجهة أو غير موجهة، متعاقبة أو غير متعاقبة، حيث تفصل بين
الفترة والأخرى فترات للراحة أو التغذية أو النوم أو التسلية.....الخ.

وليتفاعل معها الطفل بعد أن يتعرض لمناشطها المشوقة والتي تستثيره وتدفعه إلي الحركة والعمل، وتقدم له بأسلوب متكامل ومترابط يعمل علي تحقيق تكامل نمو الطفل جسمياً وحركياً واجتماعياً ونفسياً، ويمكن المشرفة من تعزيز خبراته السابقة وتعريضه لخبرات أكثر تقدما وتطوراً.....

ويبرمج هذا البرنامج الذي يسمي (**بالبرنامج اليومي**)، بما يعمل علي توسيع مدارك الطفل وتدريبه علي التفكير السليم المنظم، والانتقال به من نشاط لآخر باتباع أسلوب يشد انتباه الطفل ويجذبه ويستميله إلي العمل والنشاط، ليكمل برنامجه اليومي وهو مستمتع غير متعب، راغب في الاستمرار فيه غير مكره عليه.

ويكون المقصود بمفهوم برنامج تربوي وفقاً لهذا المضمون برنامج العمل اليومي الذي تتفاعل معه المشرفة/ المعلمة.

3- **البرنامج الأسبوعي**

وقد يتسع مفهوم البرنامج التربوي ليشمل جميع الأنشطة والممارسات والألعاب والمواقف والأساليب والطرائق التي يمارسها الطفل والمشرفة لمدة (أسبوع كامل) حيث تحدد له خطة وتبرمج زمنيا بما يعمل علي تحديد الممارسات التي تقدم له في كل يوم من أيام هذا الأسبوع لتصاغ وتحدد لها أهدافا سلوكية خاصة، وتلحق بتقويم لاحق لمجالات نموه بهدف التأكد من نواتج التعلم وتحقيق الطفل لكتسباته النمائية بعد تفاعله مع البرنامج الذي يتعرض له.

وعادة ما تتضمن الخطة الأسبوعية لأطفال الروضة عرض وتقديم (خبرة تعليمية محددة) ومصدرة بمجموعة من الأهداف السلوكية المعرفية والوجدانية والحركية والتي تنبثق منها العديد من المفاهيم الرئيسية التي تدور حول محورها وتفسير أبعادها وزواياها، حيث يقدم كل مفهوم من هذه المفاهيم في يوم متكامل ويبرمج له برنامج تربوي خاص تتكامل خبراته ومناشطه ويسعي نحو إكساب الطفل لمفهوم الخبرة، وتنميته معرفياً ووجدانيا وحركيا.